الفصل الرابع

منهج الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان

- ملامح الفكر التاريخي في الأندلس.
- منهج الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان .
- خصائص الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان .
- أسلوب الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان .

لم يبتدع الأندلسيون طرقاً جديدة في التأريخ لبلادهم، وإنما اكتفوا بتقليد المشارقة في ذلك، فساروا على مناهجهم التي استمدوها من الكتب التاريخية التي اطلعوا عليها[1]؛ وكان لشيوع ظاهرة احتكار أهل الحديث للكتابات التاريخية في العالم الإسلامي أن انسحبت بالضرورة على مؤرخي الأندلس[2]، فكان معظم المشتغلين في الأندلس ـ شأن نظرائهم في الشرق ـ محدثين دخلوا التاريخ من باب الحديث [3]، فعبد الملك بن حبيب السُّلَمي (١٧٤ - ٢٣٨ هـ / ٧٩٠- ٨٥٢ م)[4]، كانت له رحلة إلى الحجاز ومصر وتأثر بالمحدثين والفقهاء في كتابة تاريخه، كما تتلمذ

---

(١) ومن هذه الكتب ما ذكره ابن حَيَّان عن بَقِيّ بن مَخْلَد أنه أدخل كتاب " التاريخ " لخليفة بن خياط فى عشرة أجزاء، راجع، المقتبس (مكى)، ص ٢٤٦، وكذلك لاقت كتب ابن أبى خيثمة (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) اهتماماً كبيرا من الأندلسيين ويعتبر قاسم بن أَصْبَغ من أشهر الأندلسيين الذين تلقوا العلم على ابن أبى خيثمة، للمزيد راجع، يوسف بنى ياسين: علم التاريخ، مرجع سابق، ص ٥١.

(٢) أما من كانوا غير محدثين من مؤرخى الأندلس، - كابن الْقُوطِيَّة على سبيل المثال -، فقد غلفت كتاباتهم نزعة دينية واضحة وهذا يؤكد رؤية الدكتور محمود إسماعيل بوحدة الظواهر الثقافية.

(٣) حتى لقد حكم أحد الدارسين بأن الكتابة التاريخية فى الأندلس " بدأت فى ظل أشبه أن يكون وصاية للفقهاء والمحدثين والقصاص المشارقة، وإذ شذ عن هذه القاعدة محمد بن يونس الرَّازى (ت.249هـ) ومحمد بن يوسف الوراق (ت.296هـ)، حيث كان الأول تاجرا، والثانى وراقا، فقد وفد الأول من الشرق والثانى من المغرب، مما يدل على صدق ما ذهب إلية الدكتور محمود إسماعيل من سيولة الظواهر الثقافية وتوحدها فى ثائر أقاليم العالم الإسلامى. راجع: محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٤) هو عبد الملك بن حبيب السُلَّمى، كان بإلْبيرَة، وسكن قُرْطُبَة ويعد أول مؤرخى الأندلس، وله رحلة إلى المشرق، وكان عروضيا شاعراً حافظاً للأخبار والأنساب، راجع، ترجمته فى: ابن الفَرَضى: تاريخ علماء الأندلس، ق ١، ص ٢٦٩: ٢٧٢ ترجمة ٨٦١، الحُمَيْدى: جذوة المقتبس، ص ٢٨٢ ترجمة ٦٢٨ الضَّبِيّ: بغية الملتمس، ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ترجمة ١٠٦٣، المقري: نفح، ج٢، ص ٢١٨.

أحمد بن محمد الرَّازي (ت ٣٢٤هـ / ٩٣٦ م) على محدثين من قُرْطُبَة أمثال قاسم بن أَصْبَغ، وأحمد بن خالد[١]. وكذلك نجد الحوليات المشرقية قلدها الأندلسيون، وكتب التراجم من حيث اتباعهم منهج الطبقات أو ترتيبها على حروف المعجم[٢].

وكانت بداية الكتابة التاريخية في الأندلس على يد **عبد الملك بن حبيب** – السالف الذكر –، الذي يعد أقدم مؤرخي الأندلس. وقد تأثر بالكتابات المشرقية، وخصوصا المصرية[٣]، وفي كتابه **" التاريخ "**[٤] التزم بمنهج التأريخ على السنين فيما يتعلق بالأحداث الواقعة في تاريخ الإسلام في المشرق حتى افتتاح الأندلس، والتزم بذكر تاريخ ومدة كل من ولاة وأمراء الأندلس وعلى الرغم من قدمه فإن قيمته التاريخية ضئيلة، وروايته لأخبار افتتاح الأندلس[٥] تطغى عليها الأساطير [٦]، واعتمد فيه على ما تناقل ذكره مؤرخو الأندلس من أحداث[٧].

---

(١) محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) يوسف أحمد يوسف: علم التاريخ فى الأندلس، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

(٣) محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٤) ويتناول الكتاب تاريخ العالم من ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها ثم تاريخ آدم عليه السلام ومن بعده من الأنبياء والرسل حتى النبى محمد (صلى الله عليه وسلم)، ثم الخلفاء حتى يصل الى فتح الأندلس؛ فيفيض فى ذكر شأنها وما فيها من الكنوز ذاكراً لأساطير مختلفة عن الجان وأحوالهم، وفى هذا الكتاب يولى اهتماماً بنشر المذهب المالكى وأعلام المالكية فى الأندلس. راجع: ابن حبيب: كتاب التاريخ، ط١، ترجمة، تحقيق: سالم مصطفى البدرى، دار الكتب العلمية، 1999، والدراسة النقدية للدكتور عبد المحسن رمضان فى مقدمة كتابه الحروب الصليبية فى الأندلس، ص ٢٩.

(٥) راجع، التاريخ، ص ٨٤، ٦٣، ٧٨، ٨٣، ٩٣، ٩٩، ١١٠، ١١٤، ١٢٨.

(٦) باليثيا: تاريخ الفكر، ص ١٩٥.

(٧) ولا زال الكتاب مخطوطاً، ومحفوظاً فى مكتبة البودليان بجامعة اكسفورد تحت رقم Marsh 288، ولم ينشر منه سوى القسم الخاص بالأندلس تحقيق الدكتور محمود مكى، الذى نشره بنصه العربى بعنوان: " باب استفتاح الأندلس " فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٥٧، المجلد الخامس، عدد ١ - ٢ الصفحات ٢٢١ - ٢٤٨، كملحق على مقال له بالأسبانية عن مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسى. وقد قام الدكتور محمود على مَكى بدراسة وافية لابن حبيب وكتابه، كما نشر الجزء الخاص بتاريخ الأندلس من هذا المخطوط كذلك قام المستشرق الإسبانى خورخى أغوادى Jorge Aguadeبدراسة هذا الكتاب وتحقيقه ونشره فى مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – معهد التعاون مع العالم العربى، عام ١٩٩١ م وهو المشار اليه فى توثيق الدراسة، راجع، الدراسة النقدية للدكتور عبد المحسن رمضان فى مقدمة كتابه الحروب الصليبية فى الأندلس، ص ٢٩ – ٣٠.

وبدأت الكتابة التاريخية تتطور شيئاً فشيئاً بظهور عائلة الرَّازي وهم على التوالي: **محمد الرَّازي (ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م)**[1] صاحب كتاب **" الرايات "** – وكما يتضح من عنوانه – ينم عن نظرة ضيقة ومفهوم قاصر عن التاريخ، إلا أنه يشتمل على معلومات قيمة عن فتح الأندلس، وكيفية دخول موسي إلى البلاد، وفيه تفصيلات عن القبائل التي رافقته وتقسيم الأراضي، وكيفية التعامل مع السكان المحليين[2]، وجاء من بعد محمد الرَّازي **ابنه أحمد**[3]، وله كتاب عن **"أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم"**[4]، و**"الاستيعاب في أنساب مشاهير الأندلس** ـ في خمسة أسفار ـ [5]، وقد ضاعت هذه الكتب كلها[6]. ولكن معظم الروايات التاريخية التي جاءت في المصادر هي من كتابه **" أخبار ملوك الأندلس "** وأصبح منهجاً لمن أتى بعده، وعلى رأسهم ابن حَيَّان القرطبي[7].

أما طريقة في كتابة التاريخ؛ فتقوم على وضع مقدمة جغرافية، ثم تناول الأمراء

---

(١) هو محمد بن موسى بن بشير بن حماد بن لقيط الرَّازى الكنانى، أصله من الرى، وغلبت عليه وعلى أبنائه كنية الرَّازى، وهى نسبة للرى على غير القياس، راجع ترجمته فى: المقتبس (تحقيق مكى، = الشطر الثانى) ص ٢٦٥ – ٢٦٩، تاريخ العلماء، جـ١، ص ٥٤، معجم اللدان، جـ٤، ص ٣٢٥، التكملة جـ٢، ص ٦٧٠، الوافى، جـ٨، ص ١٣١، بغية الوعاة، جـ١، ص ٣٨٥، نفح الطيب، جـ٣، ص ١١١.

(٢) يوسف أحمد يوسف: علم التاريخ، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٣) وكنيته أبو بكر،، وكان أديباً وخطيباً مفوهاً وشاعراً، وكان يلقب بالتاريخى؛ لكثرة اشتغاله بالتاريخ، و" غلب عليه حب الخبر والتنقير عنه" راجع فى ترجمته: طبقات النحويين، ص ٣٢٧، تاريخ العلماء، جـ١، ص ٥٥، بغية الوعاة، جـ١، ص ٣٨٥، دائرة المعارف الإسلامية، مج ٩، ص ٤٤٨.

(٤) وكان موضوعه الرئيسى التأريخ للأندلس منذ الفتح الإسلامى فى عام ٩٢ هـ ـ ٧١١ م حتى نحو منتصف القرن الرابع الهجرى، راجع، الدراسة النقدية للدكتور عبد المحسن رمضان فى مقدمة كتابه الحروب الصليبية في الأندلس، ص ٣١.

(٥) واعتمد علية اللاحقون كابن حَيَّان، وابن الأَبَّار، محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، مرجع سابق، ص ٤١.

(٦) راجع، بالينثيا، تاريخ الفكر، ص ١٩٧.

(٧) يوسف أحمد يوسف: علم التاريخ، مرجع سابق، ص ١٦٤.

واحدا بعد الآخر، مهتما أثناء ذلك **بترتيب الأحداث حسب السنين، يعرض أحداث كل سنة**، في حكم الأمير ويختم السنة بعرض وفيات تلك السنة[١].

أما **عيسى بن أحمد الرَّازي (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)**[٢]؛ فيمثل آخر أفراد أسرة الرَّازي ممن عنوا بكتابة تاريخ بلادهم، ومن مؤلفاته كتاب التاريخ المسمى " **الموعب** " [٣] لأنه استوعب فيه تاريخ الأندلس حتى عصره. وامتاز أسلوبه بالدقة المتناهية، وظهر ذلك بكيفية تناوله للأحداث في رواياته، فلديه اهتمام بالزمان في رواياته، وهو يأتي على ذكر تأريخ الحدث بالسنة والشهر واليوم ووقته في ذلك اليوم[٤]، ولم يكن يؤرخ لإسبانيا الإسلامية وحسب؛ بل تناول كذلك تاريخ إسبانيا المسيحية وعلاقتها بالدولة الأُمَوية، وتعرضه لأخبار العُدْوَة المغربية، ويؤكد ذلك ما نقله عنه ابن حَيَّان في المقتبس[٥].

وكانت كتابة التاريخ الأندلسي حتى ذلك الوقت ما زالت تحت الوصاية المصرية – على حد تعبير الدكتور محمود علي مَكي- [٦]؛ ثم سارت بعد ذلك في طريق النضوج، وارتفعت الوصاية المصرية، وظهرت مؤلفات بعضها خاص بتراجم رجال الأندلس وعلمائها، ومن أمثلة ذلك: كتاب **جذوة المقتبس** للحميدي، **وبغية الملتمس** للضبي، **ومطمح الأنفس** لابن خاقان، **والذخيرة** لابن بَسَّام، **وتاريخ علماء**

---

(١) ولم يكتف بأن أرخ للجغرافية الطبيعية للأندلس؛ بل عمد إلى " القسم الأهم، وهو الجغرافية السياسية والبشرية؛ فقسم الأندلس إلى كور ومدن، ويلاحظ أن معظم أخبار الرَّازى عند ابن حَيَّان فيما يتعلق بأخبار ما قبل سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م، يغلب علها نقله اياها ب " قال الرَّازى " وفى مواطن أخرى " قال أحمد بن محمد الرَّازى " وما جاء عن عيسى فإنه يشير الى ذلك صراحة، راجع: المقتبس (شالميتا)، ص ١٦، ٢٤، ٥٤، ٦٩، ٨٢، ١٠١، ١١٢، ١٥٩، ٣٦٢، ٤١٠

(٢) وكان عيسى " عالما بالآداب والتاريخ ذاكرا للأخبار " ، الذيل والتكملة: ج٥، ق٢، ص ٤٩١.

(٣) المقتبس(تحقيق مكى، الشطر الثانى) ، ص ٣٢٩.

(٤) فيقول مثلا عند تأريخه لسنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م:" ففتح الناصر لدين الله لقلعة ايوب، يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان... عشى هذا النهار "، راجع، المقتبس (شالميتا): ص ٣٩٨، ومقتبس (مكى، الشطر الثانى، ص ٣٤٩، ٣٧٣).

(٥) المقتبس (شالميتا)، ص ٣٠٥، ٣١٢، ٤١٣.

(٦) محمود مكي، ندوة الجمعية التاريخية.

الأندلس[1] لابن الفَرَضى، وقوام منهج تراجم الرجال يقوم على الاقتصار على الحديث عن الشخصية، وعدم إعطاء الأحداث السياسية أي اهتمام[2]، ومن خلال التأريخ لهم صَّور المؤرخون مدى كثافة الحركة الثقافية في الأندلس.

كما شهدت الكتابة في مجال "**الطبقات**" تطورا مماثلاً، فلم تقتصر على الترجمة لأعلام المذاهب والفرق والفقهاء. وإنما اتجهت اتجاها دنيويا تمثل في الترجمة لمشاهير الأدباء والشعراء وأعلام الفكر على اختلاف هوياتهم المذهبية وانتماءاتهم السياسية[3]، وخير ما يعبر عن ذلك كله كتاب " **تاريخ علماء الأندلس** " لـ **ابن الفَرَضى (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٣م)**[4]، وقد بين في مقدمة الكتاب أن مؤلّفه يضم عدداً كبيراً من فقهاء الأندلس وعلمائها، ورواتها، وأهل العناية بالعلم منهم مرتبين على حروف المعجم[5]؛ لذلك صدق من قال أن ابن الفَرَضى يعد رائدا في هذا

---

(١) والمسمى تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس.

(٢) للمزيد راجع، ايمان محمود صالح: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

(٣) محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، مرجع سابق، ص ٧٧ - ٧٨.

(٤) وكان حافظاً عالماً كلفاً بالرواية، رحل فى طلبها، وتبحر فى المعارف بسببها، مع حظ وافر من الأدب كثير، واختصاص بنظم منه ونثير"، راجع، ابن خاقان: مطمح الأنفس. تحقيق مديحة الشرقاوى، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠١، ص ١٤٢.

(٥) وتضمن الكتاب ١٦٥١ سيرة ذاتية لأشخاص من مختلف مدن الأندلس ومناطقها، بدءا من الفتح الإسلامى وحتى نهاية القرن العاشر وقد رتبت المواد فيه هجائيا، وضمن كل حرف من الأحرف الهجائية حسب تواريخ وفاة ـ من الأقدم إلى الأحدث، ودون فى الترجمة المعلومات الآتية: الاسم ـ محل الولادة ـ ومكان الإقامة ـ أستاذه ـ الحجة والأسفار بقصد الدراسة، وأسماء الأساتذة وعناوين المواد المدروسة). وما هى المواد التى رواها أو ما هى المؤلفات التى وضعها ـ تلاميذه ـ نوع عمله، والمنصب الذى يشغله ـ الشهرة العلمية ـ تاريخ الوفاة ـ وبشكل نادر تاريخ الولادة ـ الإحالة إلى المصادر، ووضع فى المقدمة جدولا بأسماء الكتاب الواردة باختصار، والذين وضعوا المؤلفات التى اقتبس منها استشهاداته، وقد رتب مؤلفه حسب حروف الهجاء إذ بدأ بحرف الألف وانتهى بحرف الياء حسب الأبجدية المشرقية، حيث ذكر تحت كل حرف أسماء العلماء من أهل الأندلس مرتبين حسب الحرف الأول من الاسم فقط، ففى حرف الألف بدأ بإبراهيم وانتهى بأيوب وهكذا، وحينما ينتهى من ذكر الرجال فى كل حرف يذكر الأفراد، والغرباء من الحرف المتقدم وهذا المنهج هو المعمول به عند الأندلس فى تلك الفترة، راجع، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص ٨.، ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحُسَينى، طبع القاهرة ١٩٥٥ م، أبو الوليد الباجى: التعديل والتجريح، ج١، ص٢٧٣، ابن عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة ج١ ق١ ص٩ ، بويكا: المصادر التاريخية، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

المجال بالأندلس، حيث طور الكتابة في "الطبقات" لتشمل سائر الفعاليات الثقافية والعلمية فضلاً عن الاهتمام بالتاريخ السياسي و الاقتصادي والاجتماعي[١]. وفى هذا المجال صنف أيضاً **محمد بن الحارث الخُشَنِيُّ (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م)**:[٢] كتاب " **قُضَاة قُرْطُبَة** "[٣] الذي قال عنه المستشرق الأسباني بالنثيا: " إن أخبار هذا الكتاب موضوعة في قالب من الواقعية لا يبلغ إلى تصويرها كتاب غيره من كتب التاريخ[٤]، ورغم أن صاحبه لا يبدى رأيه في الأحداث، ولم يكن إلا ناقلاً للأخبار مسجلاً لها غير مدقق في تسجيله هذا وفى انتقائه للروايات الصحيحة منها، وكثيراً ما يستخدم ألفاظاً تشير إلى عدم الدقة مثل: حكى بعض الرواة الأخبار، وذكر بعض أهل العلم، أخبرني من أثق به[٥]، إلا أن كتابه قُضَاة قُرْطُبَة احتوى على عديد من سلبيات ونقائص المجتمع الأندلسي.

وظهرت مؤلفات أخرى خاصة ب " **الأنساب** "، مثل كتب **محمد بن يوسف الوراق** (ت263هـ / ٨٧٦ م) " **البربر** "، وألف عبد الله بن عبيد الأَزْدي (ت241 هـ / ٨٥٥ م) كتاباً في الأنساب ، بعنوان " **أنساب الداخلين إلى الأندلس بين العرب وغيرهم**" [٦]، فضلاً عن كتاب " **أعيان الموالي** ". أما كتاب أحمد الرازي "**الاستيعاب** " فلم يكن محض كتاب نسب؛ بل إنه جمع فيه بين دراسة الأنساب والتاريخ[٧]، أما صاحب كتاب أخبار مجموعة؛ فبرغم كون كتابه في الفتوح أصلاً

---

(١) محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) نشره خوليان ريبيرا لأول مرة فى مدريد عام ١٩١٤ م، وترجمه إلى الإسبانية، ويضم من الفوائد ما يجعله أهم مصدر لدراسة الحياة الاجتماعية فى الأندلس. وقد كتبه وتحت يده مادة طيبة من الوثائق المحفوظة فى دار الخلافة، وسجلات القضاة، والأوراق الخاصة لبعض الأفراد

(٤) تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٢٧٠.

(٥) راجع: مقدمة تحقيق كتاب قضاة قُرْطُبَة، رقم ط، ى.

(٦) أهداه إلى الخليفة الناصر.

(٧) وهو على غرار كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى فنجد الرازى يقدم إضافة إلى سلسلة النسب أخباراً عن المترجم له، غنية بالمعلومات التاريخية عن أسرته ومكانتها وتاريخ دخولها للأندلس، وأصلها، بحيث يقدم صورة متكاملة للشخص المترجم له، راجع يوسف بنى ياسين:علم التاريخ، مرجع سابق، ص ١٦٥.

فإنه وجه اهتماماً للعصبية العربية في الأندلس وللقرشيين والبيت الأُمَوي على وجه الخصوص، وكذلك كتاب " **جمهرة أنساب العرب** " لابن حَزْم، و " **الإنباه على قبائل الرواة** " لابن عبد البر، أما **ابن الْقُوْطِيَّة** (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧ م)[١]؛ فقد كتب بميل واضح للعناصر الْقُوْطِيَّة.

وتعكس تلك الكتابات واقع الصراع العنصري الذي عم الأندلس منذ الفتح وحتى عصر الإمارة[٢]. وقد اهتم بعض مؤرخي الأنساب بتوضيح المنهج المتبع من أمثال ابن حَزْم في الجمهرة[٣] وهناك من تحرر من الإسناد ومنهم من التزم به.

كما ظهرت مؤلفات في **الجغرافيا التاريخية**؛ فقد كانت كتابات مؤرخي الأندلس عموماً باستهلالها بمباحث جغرافية، حتى صار ذلك قاعدة تُحْتَذى، حيث يتعرضون " **لممالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة** "[٤]. وسارت الكتابة في هذا المجال تسير على وتيرة واحدة وهو: تنسيق المادة وعرضها وتقسيم الكتاب إلى فصول؛ كل فصل يتحدث عن بلد معينة محددا موقعها الجغرافي ويقسمها إلى عدد من المدن ويتحدث عن كل مدينة على حده[٥] ومن أمثلة هذا المنهج كتاب معجم ما استعجم والمسالك والممالك[٦] للبكري و " **ترصيع**

---

(١) وكان ذو ثقافة واسعة، متبحراً فى التاريخ، جيد الشعر، صحيح الألفاظ، عالماً بالنحو حافظاً للغة يملى ذلك عن ظهر قلب؛ فكان على حد قول الذهبى " أخباريا بارعا حافظا لأخبار الأندلس مليا برواية سير أمرائها، وأحوال فقهائها وشعرائها، راجع، راجع، خوليان ريبيرا: تاريخ افتتاح الأندلس (مقال ضمن كتاب دراسات أندلسية، الطاهر مكى، ص ٣٢)، ابن الفَرَضى: تاريخ علماء الأندلس العلماء والرواة للعلم بالأندلس.ج٢ عُنىَ بنشره، السيد عزت العطار، ط٢، مكتبة الخانجى. القاهرة ١٩٨٨ م ص ٧٩، ترجمة رقم ١٣١٨، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص ٢٢٠.

(٢) محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٣) نفسه، ص٦.

(٤) نفسه، ص ٤٣.

(٥) ايمان صالح: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٦) وقد حفظ فيه الكثير مما تضمنه تاريخ محمد بن يوسف الوراق – المفقود- والرقيق القَيْرَوَانى، المفقود معظمه أيضاً فقدم لنا أيضاً نصا فى غاية الاهميه عن تاريخ المغرب خصوصا وتاريخ الأندلس بوجه عام. واذا ما علمنا ان البكرى اشتغل بالسياسه وصنف فى الطلب والفقه والفلاحه. ادركنا قيمة معلوماته وجدة ابداعه ومافعله البكرى بخصوص جغرافيا المغرب.

الأخبار"[1] للعذري، وفيه كان يعرض لسكان الأقاليم موضحاً أصولهم وأنسابهم وتوقيت استيطانهم الأندلس وأنماط حياتهم وسجاياهم ومثالبهم.هذا فضلاً عن موضوعات ذات طابع سياسي – اجتماعي كحركات الصعاليك بالأندلس. وأخرى ذات مسحة اقتصادية لها تأثير سياسي كالأوبئة والمجاعات.هذا فضلاً عن معلومات جغرافية وتاريخ الشرق الإسلامي عاينها أثناء تجواله لذلك أثنى عليه الدارسون المحدثون وقرظوا انجازاته التي تمزج الجغرافيا بالتاريخ[2].

وشهد العصر أيضاً ظاهرة الكتابة التاريخية التي تدخل في باب " **المذكرات الخاصة** "، وكان موضوع الكتاب هو الذي يحدد المنهج المتبع مثل طوق الحمامة لابن حَزْم، الذي حظي بشهرة عالمية، واهتم به المستشرقون شرقاً وغرباً واعتبروه " سيرة ذاتية " جمع فيها بين الفكرة الفلسفية والواقع التاريخي، وهناك أيضاً كتاب " **التبيان** "[3]، لأمير غَرْناطة **عبد الله بن بُلُقين** (ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) وسرد فيه تاريخ إبائه وأحوال حكمه وحوادث الأندلس في عصره ويعد الكتاب وثيقة هامه كشهادة احد أمراء ملوك الطوائف على عصره[4]، وبين الأمير المنهج المتبع بقوله أنه سيقوم " **بذكر جمل من أحوال الأندلس، الحادثة فيها، المشهور خبرها، وتركنا وصف الاختلافات؛ إذ يوجد الحق في طرف واحد...وذكرنا ما ينقاس في العقل وحذفنا منه الإكثار والمشتبهات**"[5].

كما انصب اهتمام مؤرخي الأندلس على الكتابة في **الفتح** الإسلامي للأندلس إذ ألف معارك بن مروان ـ من أحفاد موسى بن نصير ـ تاريخا في الفتوح ابرز فيه دور جده في فتح الأندلس. وما كتبه المؤرخ المجهول وابن الْقُوْطِيَّة في نفس الموضوع

---

(١) اسمه الكامل " ترصيع الأخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك والممالك" وكان معظم معلوماته التاريخية مأخوذه من اسره الـ الرَّازى المفقوده تواريخهم،فضلاً عن مشاهداته ومعايناته بالنسبه لاحداث عصره،لذلك امدنا بمعلومات تاريخيه هامه جدا وفريده احيانا،عن علاقات حكام قُرْطُبَة بدول المغرب وكذا عن الجغرافيا البشريه للاندلس.

(٢) محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، مرجع سابق، ص ٨١.

(٣) الذى الفه حين اقامته فى منفاه باغمات.

(٤) محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، مرجع سابق، ص ٨١.

(٥) عبد الله بن بُلُقين: التبيان، تحقيق، أمين توفيق الطيبي، عكاظ، الرباط ١٩٩٥ م، ص ١٠٧.

فكان لابن الْقُوْطِيَّة كتاب " **تاريخ افتتاح الأندلس** "، وتناول فيه ما يزيد على القرنيين من التاريخ الأندلسي مبتدئاً بمقدمة تاريخية حول أسرة غيطشة، ودخول العرب إلى الأندلس حتى عهد الخليفة الناصر، متتبعا في تناوله للموضوعات عهود الأمراء والحكام غير مكترث بالتسلسل الزمني[1]، وتنوعت هذه المعلومات على قلتها فقدمت لنا أخباراً عن طبقات المجتمع الأندلسي المختلفة سواء العرب أم الأسبان أم غيرهم[2]، وقد اتسم أسلوبه بالانتقائية والإيجاز وقد يعتذر عن ذكر بعض الحوادث التي لا يحسن برأيه ذكرها[3].

ثم حدث تطور في موضوعات علم التاريخ ومن أهم هذه المظاهر كتابة بعضهم "**تواريخ عالمية** " فبداية كان كتاب التاريخ لابن حبيب برغم الطابع الأسطوري الذي غلّف الكثير من المعلومات الواردة فيه، ورغم الخلط بين موضوعات لا تربطها صلة؛ فالقيمة الحقيقية للكتاب تكمن في كونه المحاولة الأولى لكتابة " تاريخ عالمي " في الغرب الإسلامي[4]، ثم قام عُرَيْب بن سعد باختصار تاريخ الطبرى ثم ذيل عليه وأضاف اليه أخبار المغرب والأندلس التى لم يذكر الطبري عنها شيئا البته.

كما صنف أبو بكر بن سعيد بن أبى الفياض (ت.٤٥٩هـ/ ١٠٦٦ م) كتاب " **العبر** ". وهو تاريخ عالمي، مفقود، لا نقف له على أثر إلا بعض النصوص فى الكتب التاريخية اللاحقة، خصوصا عند ابن عذارىى المراكشي. كما طرق ابن حَزْم ميدان الملل والنحل في الكتابة التاريخية، حيث صنف كتاب " **الفصل في الملل والأهواء والنحل**"[5].

---

(١) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٨٣، ١٢٤.

(٢) يوسف أحمد يوسف: علم التاريخ، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(٣) راجع، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٤، ٩٩، ١٠١.

(٤) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا، مرجع سابق، ص ٢٩٧.

(٥) والكتاب يعد أول كتاب أندلسى فى هذا الحقل المعرفى. ويتسم بطابع الثراء فى المعلومات و المقارنة والنقد، وفيه ابرز ابن حزم اثر الموروث الكلاسيكى فى فكر الفرق الإسلامية، بنزعة فلسفية كلامية تقدم الأساس الفكرى النظرى للفرق الكلامية مع تبيان أخبار عن تاريخها السياسى،فضلاً عن تضمنها حصاد مساجلاته مناظراته والمتكلمة وأرباب الفرق، كما تضمن الكتاب نقاشا مع مفكري

على أن جل الاهتمام انصب على " **التواريخ المحلية** "[1]، وعلى غرار كتب التاريخ المحلي، أولى المؤرخون الأندلسيون اهتماماً لدارسة جغرافية الأندلس وتاريخها في مسحة محلية تتغنى بالمآثر والفضائل والمناقب الخاصة بالإقليم وأهله، فكتاب ابن حبيب تحدث فيه عن جغرافية الأندلس وتاريخها حتى عصره رغم كونه تاريخا عالميا. أما أحمد بن محمد الرَّازي فقد كتب في وضوح وتحديد عن أخبار ملوك الأندلس وخدمهم وغزواتهم ونكباتهم، فضلاً عن مختصر تناول فيه تاريخ الأندلس من الفتح إلى عهد حكم المستنصر، إضافة إلى كتاب عن صفة قُرْطُبَة تحدث فيه عن طبوغرافيتها وخططها ومنازل أشرافها. كما كتب ابن عيسى عن تاريخ الأندلس إلى عهد الخليفة هشام المؤيد. كما تضمن كتاب أخبار مجموعة عرضا تاريخيا لوقائع التاريخ الأندلسي من الفتح حتى خلافة الناصر[2]، ولاقت سائر المدن الأندلسية اهتماماً كبيراً من المؤرخين نتيجة إتباع نظام الإدارة اللامركزي[3].

وبذلك كان من البديهي أن تشم رياح التطور بلاد الأندلس، وبديهي أيضاً أن يزدهر الفكر التاريخي في الأندلس موضوعاً ومنهجاً، تحقيقاً وتفسيراً، بحيث أسهم كبار مؤرخيه في ترسيخ العلم ليحتل مكانة مرموقة بين العلوم الأخرى[4].

اليونان على أساس الحجة والبرهان. وعالج ابن حزم موضوعات جغرافية كحديث عن كروية الأرض، بالإضافة إلى دروس فى الأخلاق كما افرد مباحث فى علم الكلام وقضاياه. ويحتوى الكتاب على تاريخ الأنبياء،الخ، وتاريخ صدر الإسلام ومشكلة الإمامة.واختتم الكتابة بدراسة نقدية عن الفلك والتنجيم ونقد الاعتقاد فى المعجزات والسحر وأخرى تتعلق بقضايا فلسلفية بحت، كالجوهر والعرض والنفس والجسد ـ الخ. ولذلك كله، يعد الكتاب نموذجا فريدا فى مجال الملل والنحل ودليلا،لا يرقى إلية الشك،على موسوعة ثقافة ابن حزم. وفى مجال الكتابة التاريخية أيضاً (محمود اسماعيل: الفكر التاريخى فى الغرب، ص ١٠٠).

(١) وهى ظاهرة عكست في الأندلس استقلالا منذ وقت مبكر على يد عبد الرحمن بن معاوية الذي أعلن استقلاله عن الخلافة العباسية عام 138هـ ، راجع، محمود إسماعيل: إشكالية المنهج، مرجع سابق، ص ١٥.

(٢) محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، ص ٤٣.

(٣) راجع، يوسف بنى ياسين: علم التاريخ، مرجع سابق، ص٢٥٧.

(٤) محمود إسماعيل: إشكالية المنهج، مرجع سابق، ص ١٥.

منهج الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان.

بصورة عامة يمكن القول أن عصر ملوك الطوائف شهد تطوراً ملحوظاً في تدوين المادة التاريخية؛ فتنوعت أصناف الكتابة وتعددت الموضوعات؛ لذا كان من البديهي أن تتنوع مناهج المؤرخين التي طبقوها في دراسة التاريخ وكان لكل مؤرخ طريقته في التأريخ، وأسلوب يكاد يلازمه في كل ما يكتبه[1].

وقد جمع ابن حَيَّان بين المنهجين الحولي والموضوعي؛ **فبالنسبة للمنهج الحولي:** وجدناه في المقتبس والمتين قد **نظم الأحداث حسب الأيام والشهور والسنين**، ويبدو أن الكم الهائل من الوقائع والأحداث لم يُتح له فرصة الانعتاق من اعتماد التأريخ الحولي[2]، وقد اتبع مناهج المحدثين من حيث الالتزام بالإسناد – دون إفراط –؛ ففي تأريخه لكل حدث كان يسبقه بذكر مصدره، وفي هذا الصدد اعتمد على كتابات ابن عبد البر، ومحمد بن وضاح، وابن الْقُوْطِيَّة، وآل الرَّازي، كما استقصى بعض الأخبار من أفراد البيت الأُمَوي الحاكم، فضلاً عن مؤرخين أمويين سابقين كمعاوية ابن هشام الشيبيني، ومعاصرين كالحسن بن مفرج، وابن الفَرَضي الخ[3].

ويستهل ابن حَيَّان أخبار كل سنة بأهم الأحداث التي جرت خلالها، غزوات وحروب وأخبار الخارجين على الإمارة، وما حدث فيها من تغيرات في الوظائف سواء بالولاية أو العزل أو الوفاة؛ فعلى سبيل المثال يبدأ أحداث سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م بقوله: " **فيها غزا بالصائفة الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مُغِيث إلى دار الحرب، وهى الغزوة المعروفة بالقلاع** "[4]، وأحداث سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ م بقوله: " **فيها ظهر بُهلول بن أبى الحجاج بناحية الثغر الأعلى، ودخل مدينة سَرَقُسْطة**

---

(١) فمنهج الكتابة هى جزء من شخصية المؤلف التى لا ينسلخ عنها وفى الغالب تعبر عن شخصيته وآراءه فى المجتمع الذى يؤرخ له.

(٢) محمود إسماعيل: الفكر التاريخى، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٣) نفسه ، ص ١٠٠.

(٤) المقتبس (تحقيق مكي، الشطر الأول)، ص ١٠٣.

فملكها، وانضم إليه عبدالكريم وعبد الملك ابنا عبدالواحد بن مُغِيث "[1]، وأحداث سنة سنة ١٨٤ هـ/ ٨٠٠ م بقوله: **" وفى سنة أربع وثمانين ومائة، دخل عبدالله بن الأمير عبد الرحمن المعروف بالبلنسى مدينة وَشْقَة، من الثغر الأعلى على المُصافين له من بنى سلمة العرب، فصار فيها وطمع بملكها "**[2]. ثم ينتقي بعد ذلك بعض الحوادث المشهورة خلال السنة المؤرخ لها، ويجعل لها عنواناً منفصلاً عنها فعلى سبيل المثال في أحداث سنة ٢٠٢ هـ/ ٨١٧ م، يختار بعض الموضوعات ويفرد لها عنواناً خاصاً مثل: **" ذكر الوقعة العظمى بأهل قُرْطُبَة المعروفة بوقعة الرَّبَض "**[3]، و **" خبر الفقيه طالوت "**[4].

ويهتم في سرده بذكر الكوارث الطبيعية والمجاعات موضحاً تأثيرها في البلاد فيقول عند تأريخه لأحداث سنة ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م: **" وفيها كان القحط الذي عم الأندلس، فهلكت المواشي واحترقت الكروم، وكثر الجراد؛ فزاد في المجاعة وضيق المعيشة "**[5]. **كما اهتم بالظواهر الجغرافية ويسجلها** من أمطار وعواصف وزلازل الخ ومن الأمثلة على ذلك: عند تأريخه حوادث لسنة ٣٦١ هـ/ ٩٧١ م يقول: **" وفي يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر تزلزلت الأرض في أول الساعة الرابعة منه وسكنت بسرعة "**[6] ثم يقول: **" وفي يوم الخميس لليلة بقيت من صفر نزل بقُرْطُبَة وما يليها غيث وابل، اتصل من سحر ليلته الى عشي النهار... وهاجت فيها رياح شداد، وهاجت ليلة الخميس بعده رياح نكباء شديدة الهبوب "**[7].

ويستمر في ذكر الأحداث المهمة خلال السنة، وفي حال ما إذا استمرت الحادثة التاريخية لسنة تالية فإن ابن حَيَّان كان يستكمل الحدث ولا يقطعه، بغض النظر عن

---

(١) نفسه، ص ١٠٥.
(٢) نفسه، ص ١١٦.
(٣) نفسه، ص ١٤٠.
(٤) نفسه، ص ١٦٦.
(٥) المقتبس: (تحقيق مكى، الشطر الثانى)، ص ١.
(٦) المقتبس (تحقيق الحجى)، ص ٦٧ .
(٧) نفسه، ص ٦٧.

التقيسم الزمني الذي يرى فيه – في ذلك الوقت – قاطعاً لوحدة الموضوع الذي يتناوله؛ فعلى سبيل المثال في أحداث سنة ١٨١ هـ/ ٧٩٧ م ذكر خبر " تولية الأمير الحكم لعَمْرُوس بن يوسف على طُلَيطِلَةُ ابان خروجهم على طاعة الحكم " ولا يكتفي بهذا الخبر، بل يستطرد في حديثه ويشرح تفاصيل تولي عَمْرُوس وعلاقته بأهلها، وكيف نجح في إعمال الحيلة للإيقاع حتى يصل إلى أحداث سنة ١٩٠ هـ/ ٨٠٥ م، ويتحدث عن وقعة الحفرة[1]، وتأثير هذه الواقعة في أهل طُلَيطِلَةُ أن استكانوا للطاعة أيام الأمير الحكم وولده عبد الرحمن، ثم يعرض بإيجاز لتاريخ أهل طُلَيطِلَةُ في الخروج على الأمراء الأُمَويين حتى يصل بتاريخهم إلى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر؛ قائلاً: **" فلما هلك عبد الرحمن وولى مكانه ابنه محمد عاجلوه بالخلع، وتهافتوا على الحرب؛ فنشروا فتنتهم، وعادوا الى أسوأ أعمالهم، وطالت مدة الخلاف بهم، فما استقامت لهم طاعة صادقة إلى أن صارت الخلافة إلى عبد الرحمن بن نحمد الناصر لدين الله "**[2].

وفي حالة ذكر الحدث أكثر من مرة ينبه ابن حَيَّان القارئ لذلك بقوله **" وقد تقدم ذكر ذلك في بابه فغنينا عن إعادته "**[3]، و **" قد مضى ذكر ذلك "**[4]، و**" على ما قد ذكرنا "**[5]. وفي حالة استطراده في ذكر الحدث ومتابعته على مر السنين حتى لا ينقطع تسلسل الأحداث؛ ينبه القارئ عند انتهائه رجوعه مرة أخرى لمتابعة الأحداث على نسق السنين مشيراً الى ذلك بقوله: **" رجع الحديث "**[6]، و**" رجع الخبر "**[7]، ويقوم بربط الأحداث، والأخبار بعبارات مألوفة في تاريخه مثل: **" وفيها**

---

(١) المقتبس (تحقيق مكى، الشطرالأول)، ص ١٠٨.

(٢) نفسه، ص ١١٥.

(٣) نفسه، ص ١١٥.

(٤) نفسه، ص ١١٦.

(٥) نفسه، ص ١٣٠.

(٦) المقتبس (تحقيق الحجى)، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٧) المقتبس (تحقيق مكي، الشطرالأول)، ص ٩٦.

ظهر..."[1]، **" فلما قرأ كتابه.."** [2]، **فأما المغيرة بن هشام..."**[3]، **" فلما انقضت الأيام الثلاثة..."** [4] الخ. ويوضح الأحداث بقوله **" لما استوثق الأمر...."** [5]**" وقد افشينا في شرح..."** [6]، و **"وأختتم هذه الأخبار....."** [7]، **" فلما كان عقب جمادى الأولى..."**[8].

أما **بالنسبة للمنهج الموضوعي**؛ فإننا نجد ذلك واضحاً في كتابيه المقتبس والمتين؛ ففي المقتبس يقسم كتابه إلى عدد من الموضوعات، كل منها مرتبط بعصر الأمير الذي يتحدث عنه، حيث يتخذ من عصور الأمراء أساساً للتقسيم؛ فيبدأ بعرض الأحداث المحيطة بتولي الأمير؛ فعندما أرخ لعصر الأمير عبد الرحمن الأوسط شرح كيف اعتنى والده بتربيته وتعليمه، ومتى اختاره ولياً للعهد وكيف تولى المسئولية أثناء مرض والده؛ ثم وفاة والده ومبايعته أميراً[9]، ثم يعقب ذلك أحكام عامة على شخصيته وسيرته وأخلاقه وقيمة عمله فيقول عن الأمير : **" هو أول من فخم الملك بالأندلس من خلفاء بني مروان... واستوزر الأكفاء من أهل الاكتفاء "**[10] ثم يعرض لبعض الأعمال المعمارية في عهده[11]؛ ثم يذكر نوابه على كافة الوظائف التابعة للدولة مثل **" ولاية السوق "**[12]، و **" السكة والطراز "**[13] و**" الخزانة**

---

(١) نفسه، ص ١٠٥.
(٢) نفسه، ص ١٠٧.
(٣) نفسه، ص ١٤٩.
(٤) نفسه، ص ١٥١.
(٥) الذخيرة: (تحقيق البدرى) ج ١، ص ٣٩.
(٦) نفسه، ج ٣، ص ١٢١.
(٧) نفسه، ج ٣، ص ١٢٠.
(٨) نفسه، ج ٣، ص ١٢٢.
(٩) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الثانى)، ص ٢٧٥ - ٢٨٠.
(١٠) نفسه، ص ٢٨٠.
(١١) نفسه، ص ٢٨١ - ٢٨٨.
(١٢) نفسه، ص ٢٨٨ .
(١٣) نفسه، ص ٢٩٠.

والوزارة والحجابة"[1] الخ، ويفرد بعد ذلك فصولاً عن أخبار العلم والعلماء[2]، موضحا أهم معالم الحياة الثقافية خلال العصر[3]، ويترجم لأعلام الأدباء والعلماء[4]، ويختتم حديثه ببعض الأحداث الكبرى والنوادر المختلفة في عهد الأمير[5]، وفي الختام يعرض للوفيات في عصر ذلك الأمير، مرتبا إياهم ترتيبا زمنيا، وقد شملت هذه التراجم طائفة كبيرة من رجال الدولة هذا بالإضافة إلى العلماء والفقهاء واهتم أثناء ترجمته لهم بذكر أسمائهم ونسبهم وكناهم وتواريخ ميلادهم ووفاتهم والعلوم التي قاموا بتحصيلها والوظائف التي تقلدوها.

ومن سمات منهج الكتابة التاريخية لديه أيضاً أنه كان في بعض الحالات يفضل رواية على أخرى خاصة إذا كان ملماً بجوانبها المختلفة؛ فنجده مثلاً **يرجح** رواية ابن الْقُوْطِيَّة عند كلامه عن " **ذكر مهلك نصر الخَصِيّ** الكبير سنة ٢٣٦ هـ" فيقول: " وكثر القول في السبب الذي أراده والخوض فيما أتاه، **وكان أوضح ذلك ما ذكره أبو بكر بن الْقُوْطِيَّة** "[6].

ومع ذلك نجده أحياناً يورد للحدث الواحد أكثر من رواية فنجده يستخدم عبارات مثل: " **ذكر شرح هذه القصة من طُرق**"[7] ، فمثلاً عند التعرض لشرح محنة أهل طُلَيطِلَةُ رجع إلى رواية عيسى الرَّازي[8]، والحسن بن مفرج[9]، وابن الْقُوْطِيَّة[10]، وعبد الملك بن حبيب[11].

---

(١) نفسه، ص ٢٨٨ - ٢٩٨.
(٢) نفسه، ص ٢٩٨.
(٣) نفسه، ص ٣٠٧ - ٣٣٥.
(٤) نفسه، ص ٣٣٦ - ٣٥٠.
(٥) نفسه، ص ٣٨٩، ٤٠٣.
(٦) نفسه، ص ٨.
(٧) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الأول)، ص ١٢٣.
(٨) نفسه، ص ١٠٦.
(٩) نفسه، ص ١٠٧.
(١٠) نفسه، ص ١١٣.
(١١) نفسه، ص ١٢٤.

ولم يكن يرجح رواية على أخرى تاركاً الأمر للقارئ. ونراه مرة أخرى ينتقي ما يدون متخيراً أبرز الأحداث فيقول مثلاً عن القاضي عباد: " **ومن أشهر أخباره أنه نظر في شأن من بقي من فتيان بني مروان يومئذ فسقط إليه خبر الدعي المشبه بهشام بن الحكم، وكان قد تحدث أنه أفلت من يدي سليمان قاهره، وإنه غاب ببلاد المشرق...** "[1]. وعند ذكره بيعة الأمير الحكم لابنيه يرجع إلى روايات معاوية بن هشام[2]، وأحمد الرَّازي[3]، وأبو بكر بن الْقُوْطِيَّة[4]، والفقيه محمد بن وضاح[5]، وفي ذكر خبر ابن بشير القاضي أتي برواية ابن الْقُوْطِيَّة[6] والخُشَنِيُّ [7]، وأحمد بن خالد[8]، ومحمد بن وضاح[9]، وخالد بن سعد[10].

وأما **منهجه في المتين** فهو التأريخ لدول الطوائف المتنازعة المتفرقة، فنراه **يفرد لكل دولة منها فصلاً خاصاً بها**، يحدث عن نشأتها وعن أحداثها مرتبة زمنياً مع التعرض لشرح أوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بغيرها من الدول مع الترجمة لعلمائها وفقهائها وقضاتها وكتابه وشعرائها.

وكان **في المتين** لا يحتاج إلى إيراد عدة روايات لخبر، أو اثبات مصدر لأخبار ووقائع هي منه بمرأى ومسمع؛ إذن هو مصدر لتاريخ عصره وبلده، ما شاهده منه وما بلغه أو سمعه، كالذي نقل ابن بَسَّام من خطه في مقتل " الوزير ابن القطاع، عيسى بن سعيد "، وقد أعظم الناس قتله وسار منهم إلى الزاهرة خلق عظيم

---

(١) الذخيرة: (تحقيق البدرى) ج ٢، ص ٦.
(٢) المقتبس (تحقيق مكى، الشطرالأول)، ص ١٨١.
(٣) نفسه، ص ١٨٢.
(٤) نفسه، ص ١٨٣.
(٥) نفسه، ص ١٨٣.
(٦) نفسه، ص ٢٠١.
(٧) نفسه، ص ٢٠٤.
(٨) نفسه، ص ٢٠٤.
(٩) نفسه، ص ٢٠٦.
(١٠) نفسه، ص ٢٠٦.

ينظرون إلى رأسه معلقاً ببابها، قال ابن حَيَّان: " وكنت في جملة من نظر إليه، واستبنت الضربة بخده الأيمن "[1]. وفيه حقق أيضاً تحرير الكتابة التاريخية من قالب إطارها التقليدي، يتضح ذلك في قدرته على الحصول على المعلومات من مصادرها الأصلية، واستطاع أن يحلل ويعلل الكثير منها وبموضوعية واضحة [2]؛ إضافة إلى ذلك، كان ملماً بشئون الإدارة وأساليب الحرب، مما يسر له وصف الأحداث بدقة، والحكم على التصرفات والسياسات بل ونقدها[3]. ولذا يقول الدكتور محمود إسماعيل: " **وفي تلك المرحلة انعتق علم التاريخ من إسار المصادر اللاهوتية باندثار دور " المؤرخ – المحدث " وإفساح المجال للمؤرخ الفقيه والتاجر والوراق والكاتب والطبيب والفيلسوف، الأمر الذي أفضي إلي تحويل العلم من " الرواية " إلى " الدراية "**"[4].

وكان يلتزم بمبدأ تتبع الأحداث؛ بحيث تظهر مترابطة في سياق متصل حتى يتلافى أهم عيوب الحوليات قدر المستطاع ؛ وهو تقطيع أوصال الخبر[5]. كما كان يميل إلى التحليل والتعليل بالتقول فيما كان يعرض من أخبار[6]. ونراه يسرد تلك الواقعة ومع السرد يحلل ويعلل: "**وأول ما ظهر من تفاسد عباد والمُظَفَّر أن ابن يَحْيىَ صاحب لبْلَة عند هجوم عباد عليه استجار بالمُظَفَّر بن الأَفْطَس، فأجاره وانزعج له، ووصل يده وعطل ثغره، وجمع جيشه وأقبل إلى لبْلَة ناصراً لابن يَحْيىَ، مضيعاً لمن خلفه يوقد نار فتنة كان في غنى عنها، حتى نزل بنفسه على ابن يَحْيىَ ودافع ابن عَبَّاد عنه، وحرك في ذلك في حلفائه البرابرة جماعةً، فسارعوا إليه غير ناظرين في عاقبة أمرهم، وتقدموا في تحريك يعسوبهم محمد بن القاسم فانتظم به أمرهم، وتقدم بهم**

---

(١) الذخيرة: (تحقيق البدري)، ج١، ص ٧٨، نقلا عن ابن حَيَّان.

(٢) وهو ما سنعرض له عند الحديث عن الموضوعية.

(٣) وهو ما سنعرض له عند الحديث عن النقد عند ابن حَيَّان.

(٤) محمود إسماعيل: إشكالية المنهج، مرجع سابق، ص ١٤.

(٥) نبيلة حسن: في الوثائق، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٦) الشكعة: المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص ٣٧٠.

إلى إشبِيلِيّة ورحاهم تدور على قريعهم باديس بن حَبُّوسُ، مدرههم في الجلى ومفزعهم في النائبة، يسلمون لرأيه ويزحمون بركنه، فأشفق الوزير ابن جَهْوَر من حركتهم تلكن على عادته في التقلقل لأمثالها، وجهد جهده في صرفهم، وأرسل ثقات رسله إلى عامتهم، إلا ما كان من الدائلين منهم عباد داعية المروانية ومحمد بن إدريس صاحب مَالَقَةُ[1] دائل الحَمُّودية، فإنه تنكبها بعاداً من الظنة، إذ كان هو وجماعة قُرْطُبَة متوقفين على كل دعوة، فلما وصلت رسله إليهم ما زادهم إلا لجاجاً[2].

ونراه يسرد ما شجر بين المُتَوَكِّل وأخيه ابني المُظَفَّر ابن الأَفْطَس ومع السرد يحلل ويعلل: "في صدر سنة إحدى وستين، نشأ من تلقاء ثغر غربي الأندلس المثغور عارض هم ضاعف الإشفاق، وأكد التوقع بانكشاف خبر الاختلاف الواقع بين أميريه: يَحْيىَ وعمر ابني المُظَفَّر بن الأَفْطَس، واهتدى الطاغية أذفنوش بن فرذلند المتمرس بجماعة ملوك الطوائف بالأندلس، إلى شب نار الفتنة بينهما كيادا للمسلمين، فبدأ بالاعتلال على يَحْيىَ صاحب بَطَلْيَوْس منهما، يسومه الزيادة في مال جزيته التي كان فارق أباه الهالك عليها بوساطة المأمون بن ذي النون بينهما، فانتقض على هذا الغلام لوهي في جبلته، وطماعية في إتيانه من قبل أخيه، فأظهر له يَحْيىَ العجز عن الزيادة في الجزية، فجرت بينه وبينه الطاغية في ذلك خطوب اغتدى بها بلد بَطَلْيَوْس وثغره ثغورا، فأقام يَحْيىَ منهما على ولاية المأمون بن ذي النون وحلفه وراثة عن أبيه النظفر، ومال أخوه عمر إلى المعتضِد، وتأتت بين هذين الأخوين في

---

(١) مَالَقَةُ Malaga: بفتح اللام والقاف كلمة عجمية. مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رَية سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء وألمريّة. قال الحُمَيِّدي: هى على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق، والقولان متقاربان وأصل وضعها قديم ثم عمرت بعد وكثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عمارتها حتى صارت أرشذونة وغيرها من بلدان هذه الكُوَرة كالبادية لها أي الرستاق، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم. منهم عزيز بن محمد اللخمى المالقى وسليمان المَعافري المالقى. راجع: ياقوت: معجم، ج٥، ص ٤٣، أبو بكر الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٩٣.

(٢) الذخيرة: (تحقيق البدري) ج ٢، ص ١٦ – ١٧.

أثناء ذلك هدنة على دخن، لم يتم معها أنس ولا تمكنت لها طمأنينة، وما زالت السعاية تقدح بينهما العداوة، حتى أورت نار فتنة ضرمت البلاد، وأجاحت الرعية، وثلمت ثغرهما وضاعفت البلية"[1].

وتتميز كتاباته التاريخية بالدقة البالغة حتى في تحديد التواريخ بالأيام، **وبالتقويمين الهجري والميلادي** في بعض الأحيان؛ على سبيل المثال عند تأريخه لأحداث سنة خمس وثلاثين ومائتين يقول: " **وفيها سيلان عظيمان بنهر قُرْطُبَة في شهر رجب القمري الموافق لشهر يونيو الشمسي** "[2]، وفي افتتاح سنة إحدى وستين وثلاثمائة يقول: " **أول المحرم فاتحتها يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من أكتوبر الشمسي** "[3]. وعند تأريخه حوادث لسنة ٣٦١ هـ يقول: " **وفي يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الآخرة منها نزل بقُرْطُبَة غيث وابل ودخل شهر أبريل العجمي فجاء الحضرة رعد شديد وأنواء مكفهرة** "[4]، وهو دقيق في كل ذلك[5]، ونجد دقته كذلك في تحديد مدة الإمارة بالسنة والشهر واليوم فنجده محددا مدة إمارة الأمير عبد الرحمن بن الحكم " **وكانت خلافته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام**[6]" !!.

وتتميز دقته كذلك في دراسة الروايات التاريخية والمفاضلة بينها على أساس منطقي مع تخليصها من الأساطير والخرافات، ومع التفصيل الواسع الذي لا يترك شيئا ذا قيمة، وذكر الحوادث والنظائر التاريخية المشابهة في المشرق، وشرح العلاقات بين الأندلس وبين الشمال الإفريقي[7].

---

(١) نفسه، ج ٢، ص ٣٨٣، نقلا عن ابن حَيَّان.

(٢) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الثانى)، ص ٥.

(٣) المقتبس (تحقيق الحجى)، ٣٨ .

(٤) راجع، المقتبس (تحقيق الحجى)، ص ٧٢ - ٧٣، ١٤٤ - ١٤٥ ، ١٥٤، ٢٠٩.

(٥) راجع جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، للعلامة ويستنفيلد، ترجمة عبد المنعم ماجد، وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٠ م، ص ٢٩.

(٦) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الثانى)، ص ٦٦ .

(٧) تم التعرض لها بالتفصيل في فصل المحتوى .

وكان ابن حَيَّان يتمتع بروح نقدية عالية، ويشير إلى عيوب الناس ويرصدها في تاريخه. كما كان يستمد أحكامه الناقدة من معرفة واسعة بتاريخ المسلمين في المشرق والمغرب مما يتيح لنا أن نصفه بالموسوعية، فكتاباته تتسع لآفاق متعددة في عمل تاريخي متميز، وفضلاً عن هذا التفصيل والتوسع فإنه في إحاطته الشَّاملة بالتاريخ الإسلامي في المشرق والمغرب، كان سريع الإدراك والتنبه للمشابهات والمفارقات بين المشرق والأندلس. نرى ذلك في مقارناته الدقيقة بين أحداث الأندلس وما ماثلها أو خالفها مما كان يدور في مختلف أقطار المشرق أو بين الشخصيات الموجهة للتاريخ هنا وهناك: نذكر من أمثلة ذلك مقارنته بين الفتنة البربرية الواقعة في الأندلس والمفرقة لشمل الجماعة والفتنة الحادثة بالمشرق، هو ينص في سياق ذلك على أنه ائتسى في كتابة تاريخ هذه الفتنة بمستأخرى أصحاب التاريخ بالمشرق مثل أبى محمد الحصني وأبى بكر بن القواس القاضي والفرغاني، ومن هذه المقارنات ما عقده بين تلقيب الحكم المستنصر مولاه غالباً بلقب " ذي السيفين " امتثالاً لما فعله الأمير أبو أحمد الموفق بإسحاق بن كنداج الخزري عامله على الجزيرة[1].

وهكذا نراه يجمع بين **المنهج الحولي والموضوعي**، كما يمكن القول أنه استفاد من المناهج التي عرفها، ورأى أن يجمع بينها وأن يستفيد منها، فهو **يروى كبرى الأحداث السياسية والعسكرية**، ويتحدث عن **حياة الشعب والحكام** وعن **الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية، ويسرد الحوادث حسب تسلسل السنين، ويترجم لرجال الدولة**[2] من علماء وقضاة وأدباء في إسهاب. وهذا هو منهجه في **"المقتبس"** و**"أخبار الدولة العامرية"**، حين يتعلق الأمر بالتأريخ لفترة سابقة له[3].

---

(١) محمود مكى: مقدمة المقتبس، الشطر الثانى، ص ١٠٩.

(٢) راجع، المقتبس (تحقيق مكى، الشطرالأول)، حيث نجدة يورد خبر الفيه طالوت ص ١٦٦، خبر غربيب الشاعر ١٧٤، والحاجب هيثم بن أَصْبَغ، ص ١٩٠، ومحاسن الحاجب عبد الكريم بن مُغِيث، ص ١٩١، وذكر وزراء الأمير الحكم وذوى مشورته، ص ١٩٥، وخبر ابن بشير القاضى، ص ٢٠١، وذكر الفرج بن كنانة، ص ٢١٩، وذكر عباس بن فرناس، ص ٢٣٨، وذكر الغزال الجَيّانى، ص ٢٤٣ الخ.

(٣) عبدالله جمال الدين: من نصوص كتاب المتين، مرجع سابق، ص ١٣.

أما عن **خصائص الكتابة التاريخية عند ابن حَيَّان**؛ فكان يذكر المعالم البارزة للعصر ثم يستطرد إلى التفاصيل فلا يدع جزئية دون أن يلم بها، ويطلق على الشخصيات التي يؤرخ لها أحكاماً ناقدة، فيذكر الفضائل كما يذكر النقائص"[١]. واتسعت بذلك كتاباته متجاوزة الأمور السياسية والعسكرية إلي مجالات أوسع في الاقتصاد والاجتماع، والعقائد[٢].

كما كان يستعمل تعبيرات الذم الأخلاقي التي تنبئ على الإدانة لكل من يقف ضدها، ولهذا يكثر من استعمال ألفاظ: **الملحد، الفاسق، الخائن، رأس المجرمين، الرابض للفتنة**[٣]... وما أشبه ذلك، ويتلذذ بتصوير انتصار الجماعة مثلما يرتاح إلى وصف اندحار أعدائها بأسلوب يقوم على المشاركة الانفعالية[٤].

أما أسلوب الكتابة التاريخية لديه؛ فقد كان أسلوبه يمتاز بالسهولة والوضوح والتعبير الدقيق عن الحقائق، وقوة التدليل والتفسير والتعليل، وامتاز بترابط الفكرة، وتخير المفردات والتراكيب العربية السليمة، وتخلص من قيود السجع ومحسنات البديع المتكلفة، وتدلنا كتاباته التاريخية على أدبه الرفيع وأنه صاحب أسلوب سلس معبر سهل العبارة وبعد عن التزويقات اللفظية[5].

وكان يتجنب الإطناب ولا يبتعد عن الحدث الأصلي، مما يجعل المطلع متواصلاً مع الأحداث ".....". كما كان يستخدم صيغ مثل " **حكي**[٦]، **بلغني**[٧]، **حدثني من رأى**[٨]..، **قال لي المحدث**....."[٩] الخ "، وكان يسند المنقول إلى المؤلف مع

---

(١) لطفى عبدالبديع، الإسلام فى أسبانيا، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩، ص ٧٠.
(٢) محمود إسماعيل: إشكالية المنهج، مرجع سابق، ص ١٤.
(٣) المقتبس: (شالميتا)، ص ٢٠.
(٤) احسان عباس: طريقة ابن حَيَّان، مرجع سابق، ص ١١١.
(٥) عبد الرحمن على الحجى: أندلسيات، المجموعة الاولى، بيروت ١٩٦٩ م، ص ٣٦.
(٦) المقتبس (تحقيق مكى، الشطرالأول)، ص ٩٢.
(٧) راجع: الذخيرة: (تحقيق البدرى)، ج ١، ص ٤١٥، ج٣، ص ١١٨ نقلا عن ابن حَيَّان.
(٨) الذخيرة: (تحقيق البدرى) ج ٣، ص ٩.
(٩) نفسه، ج ٣، ص ١٠.

إغفال ذكر كتابه، كنحو قوله " **حكى الفقيه محمد بن وضاح**"[1]، وقوله " **قال أحمد بن محمد الرَّازي**[2]، و"**قال عيسى بن أحمد** "[3]، الخ. ومع ذلك كان ينسب بعض النقول الى مصادرها كقوله: " قال عيسى بن أحمد الرَّازي في كتابه الكبير المعروف " **بالموعب** "[4]، ونجده في مرات نادرة نسب المنقول الى مبهم كقوله: " **وقرأت في بعض التواريخ**" [5]، " **وسمعت من يحكي عنه أنه**..... "[6]، " **قيل**"[7]، "**وزعموا**"[8]، "**وقد ذكروا**"[9]، "**وقال بعض الرواة**"[10]، وكان يشير الى بداية نقوله بألفاظ منها: "**حكي**"[11]، "**قال**"[12]،" **وقرأت في كتاب**"[13]، "قيل"[14]،" **وقد ذكروا**"[15]، "**وقال بعض الرواة**"[16]، "**وقرأت بخط**"[17].

كما كان يغلب عليه **الاستئناس بالتعبير القرآني** " من ذلك قوله: " وأصبحنا من استشعار ذلك والتمادي عليه على **شفا جرف** يؤدي إلى الهلكة لا محالة "[18] "، "وحمي الوطيس بينهم إلى أن نصر أوليائه، وزلزل أعداءه، **وولوا الأدبار**"[19]

---

(١) المقتبس (تحقيق مكى، الشطرالأول)، ص ٩٢.
(٢) نفسه، ص ٩٣.
(٣) نفسه، ص ٩٩.
(٤) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الثانى)، ص ٣٢٩.
(٥) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الأول)، ص ١٥٥.
(٦) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الثانى)، ص ٦٩.
(٧) المقتبس (تحقيق مكى، الشطرالأول)، ص ٩٥.
(٨) نفسه، ص ١٠٠.
(٩) نفسه، ص ١٠٠.
(١٠) نفسه، ص ١٩٠، ٢١٣.
(١١) نفسه، ص ٩٢.
(١٢) نفسه، ص ٩٣.
(١٣) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الثانى)، ص ٤٣، ٢٥٣.
(١٤) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الأول)، ص ٩٥.
(١٥) نفسه، ص ١٠٠.
(١٦) نفسه، ص ١٩٠، ٢١٣.
(١٧) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الثانى)، ص ٩٤.
(١٨) الذخيرة: (تحقيق البدرى) ج ٣، ص ١٢١ – ١٢٢.
(١٩) نفسه، ج ٣، ص ١٢٣.

"....ولا قبضوا منها مرتزقا، **ولا نالوا منها مرتفقا** "[1]، ويقول في وصف حَبُّوسُ: " **شديد الغضب، غليظ العقاب** "[2]. ويقول " واعتدت **قاعاً صفصفاً كأن لم تغن بالأمس** "[3]

وكان يميل إلى استعمال التمثيل والصور الشعرية " **فمثل دهرنا هذا فرس بهيم الشية** [4].... وقوله: " **شاء من الناس هامل**[5]، **يعللون نفوسهم بالباطل**"[6]. مستعار من قول المنصور النَّمِري:

شاء من الناس رائع هامل..... يعللون النفوس بالباطل

ويستشهد أحياناً بأبيات من الشعر ففي عهد الحكم الرَّبَضي حدثت مجاعة شديدة، أحسن فيها الأمير الحكم مواساة أهل الحاجة من الناس، فأفشى الصدقات الواسعة، وفرق الأموال وذكر فضل الأمير الحكم فيها، عباس بن ناصح الجزري، فقال في شعر له:

نكد الزمان فأُمنت أيامه.....من أن يكون بعصره عُسر

طلع الزمان بأزمة فجلا.....تلك الكريهة جوده الغمر [7]

وهذا الاهتمام بديهي نتيجة تتلمذه على يد صاعد البغدادى وابن أبى الحباب حامل علم أبى على القالى، الخ[8].

وكان يميل إلى الركون إلى السجع إن جاء في سياق الكلام " **فسفسف أخلاقهم، واجتث أعراقهم، وسفه أحلامهم**"[9]، " **وأركستهم**[10] **الذنوب، ووصمتهم**

---

(١) نفسه، ج ١، ص ٣٠.
(٢) نفسه، ج ١، ص ٢٨٧.
(٣) المقتبس (شالميتا)، ص ٢٣٢.
(٤) نفسه، ج ٣، ص ١٢٢.
(٥) الهامل: المتكاسل.
(٦) نفسه، ج ٣، ص ١٢٢.
(٧) المقتبس (تحقيق مكى، الشطر الأول)، ص ١٠٦ - ١٠٧.
(٨) الشكعة: المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص ٣٥٢.
(٩) الذخيرة: (تحقيق البدرى) ج ٣، ص ١٢٢.
(١٠) أركس: نكب.

العيوب، فليسوا في سبيل الرشد بأتقياء، ولا على معاني الغي بأقوياء، شاء من الناس هامل، يعللون نفوسهم بالباطل، من أدل الدلائل على فرط جهلهم بشانهم، اغترارهم بزمانهم، وبعادهم عن طاعة خالقهم"[1].

وقد يلجأ في أسلوبه الى الإغراب: فيستعمل عبارات غريبة مثل: " **وابذعر أصحابه عباديد** "[2] و " **أُمراء الثغر النازلين في ضبنه** "[3]، وكان يستخدم كلمة " **اسحنفر** " للتهكم والسخرية ممن يعتسف في القول أو في القاء الشعر فوصف بعض من جاء عزاء ابنة المعتضِد بأنهم " **اسحنفروا في تعزيته** "[4]؛ بل نراه في الهجاء والنقد يجنح الى شئ من الإغراب والعمق وهذا متوقعا حيث يحتاج الموقف الى شدة وصرامة وعبارات قوية مؤثرة[5] فيقول في أحد انتقاداته " **وكان حجة الله في القسم، ومحنته لذوي الفهم، إذ كان من الأمية والعامية وخمول الأصل، ونذالة الفرع، ولؤم الأطراف، ودخلة الأعراق، على ثبج عظيم، وبمكان مقعد مقيم، وعفو الله لا يبعد عمن جاءه بقلب سليم**[6]. ويقول أيضاً:" **وانكدر بإثر وفاته ابن باشة المعروف بالأصغر، هدام القصور، ومبور المعمور؛ وكان من التبحبح في اللؤم، والالتحاف للشؤم، مع دناءة الأصل والفرع، وتنكب السداد، وتقيل الفساد، على ثبج عظيم. بيده بادت قصور بني أُمَيّة الرفيعة، ودرست آثارهم البديعة، وحطت أعلامهم المنيعة** [7].

ويتسم أسلوبه بصفة الاتزان والتوسط على أن سمة الوضوح والسهولة مع التوسط والاتزان تبدو في أغراض المديح والتهنئة أوضح منها في جانب الهجاء

---

(١) الذخيرة: (تحقيق البدرى) ج ٣، ص ١٢٢.

(٢) نفسه، ج ١، ص ٤١٠.

(٣) نفسه، ج ٣، ص ٦٩، وضبنه أي ناحيته وكنفه.

(٤) الحُلة السَّيَراء ، ج٢، ص ٥٢.

(٥) حازم عبد الله خضر: أبو مروان ابن حَيَّان، أديبا وكاتبا، مجلة المناهل، عدد ٢٩ لسنة ١٩٨١ م، ص ٢١٠.

(٦) الذخيرة: (تحقيق البدرى)، ج ١، ص ٣٧٢، نقلا عن ابن حَيَّان.

(٧) نفسه، ج ١، ص ٣٧٢، نقلا عن ابن حَيَّان.

يقول في رسالة له إلى أحد العمال بعد خلاص الأخير من نكبة قائلا:" **فأنت أعلم بمجاري الأمور، ومصاير الدهور، وأهدى إلى التسليم لمقدور، فلم تورد الأيام عليك من حوادثها المجهول النكر، ولا وردت عليك بالفتكة البكر، ولا هاضت منك بما جنته، ولا هدت من ركنك بما أتته، بل صادفت منك الإبريز الذي لا يزيده السبك إلا تخليصاً، والمبرز الذي لا يعقبه حؤول الأحوال نكوصاً؛ تتلقى الخطوب بصدر وساع، وصبر منفسح الباع؛ وتسبر الدهر بمسباره، وتعرف من مكنونه حقيقة إيراده وإصداره**" [1].

ويتسم أسلوبه أيضاً بالتنويع فكان يحرص على أن ينوع في أساليبه وطرق تعبيره مستفيداً من ثروته اللغوية الواسعة، واطلاعه العميق على أسرار اللغة واستيعابه لفنونها وعلومها على عكس ذلك نجد في نقده حيث تكثر الجمل القصيرة ذات المعاني الموجزة يقول: " **وكان فلان غليظ الطبع، خشن الجانب، وخيم الخيم، فدماص جهم اللقاء، يعتريه ضجر يخل به، قلما ينجو الخصم منه من بادرة، له في ذلك أخبار شائعة. وكان فيما زاد من علته خطأ الطبيب لإصابة المقدار، فبان عليه أثر خطأ العلاج**"[2].

وكان يقف عند جانب النقص في المتهكم عليه، وقد يكون شخصاً أو أسلوباً أو سلوكاً أو فكرة أو غيرها، فيلجأ إلى إبراز العيب بصورة فنية أو بمجموعة من الصور، بحيث يلفت النظر إليه ويميزه عن بقية الملامح والسمات مستعيناً في ذلك ببراعته في التصوير، وحسن توظيفه للصورة التي هي "طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير. ولا يقف التصوير الساخر عند حدود نقل النقائض والهنات كما هي في الحياة الواقعية، وإنما يتعدى ذلك إلى رصدها ونعتها بأوصاف باعثة على التفكر والتدبر، وتعمل على التنبيه للعيب، وذلك لتجاوزه وتغييره أو الإقلاع عنه.

---

(١) نفسه، ج ١، ص٣٦٣.

(٢) نفسه، ج ١، ص٣٦٦.

ولم يكن همه سرد الوقائع والحوادث فقط وإنما كان إلى جانب ذلك يدلي بالرأي الصحيح ويعلق على الحادثة ويعلل الظاهرة بل نجده أحيانا كثيرة يمعن في إيراد بعض التفاصيل لحادثة ما قد لا تحتاج إلى تلك العناية والتفصيل في نظر البعض، غير أننا نستشف من خلال ذلك أنه يعرض علينا مادة القضية بتمامها أي بأسبابها ونتائجها [1].

وقد تجنب الإفراط في السجع، فجاءت عباراته منسجمة مع الوقائع التي تحدَّث عنها، وهو ما يدل على تمكنه الأدبي البالغ. وامتلاكه لناصية اللغة، وقد وُفق تماماً في ربط معظم الروايات التي أخذها عن المؤرخين المتقدمين، فجعل منها نسيجاً منسجماً، مميزاً، حافظ فيه على أساليبهم المختلفة في الوقت الذي طبع فيه هذا النسيج بطابعه الخاص.

وكان يلتزم الأسلوب السليم، نتيجة لثروته اللغوية وحصيلته الأدبية [2]، وكان يعتمد على نفسه في صياغة العبارة وبناءها، وترتيبها على نحو متميز [3]؛ مثال ذلك ما كتبه الى الوزير أبا القاسم بن عبد الغفور هذه الرسالة البليغة: " **ليس يخفى عليك مكان هذه الصحف المستملاة من الصدور، المستعراة من النظير، من أنفس مؤلفيها، وقلوب مصنفيها، فأبثك شأن الاهتمام بها، وناولتك يوم التقينا السفير الحقير، ختام تاريخي المهجور، سائلا علاك تصفحه كيما تكذب ما زور فيه على، ولا محالة أن قد فعلت، ورددت وجهدت، واستأخر صرفه إلى، فحملت ذلك على نسيانك، لتقسم الأشغال لخاطرك، ولمناخ القلق بي، ويومان من هجر الحبيب كثير، ونفسي متطلعة إلى حضوره حذرا من أن يعدوك، فلا أستقيل فيه الحيرة، فتفضل بصرفه، غانما حمدي إن شاء الله** "[4].

---

(١) عبد السلام الهراس: مأساة الأندلس فى رأى ابن حَيَّان، عدد ٢٩ لسنة ١٩٨١ م، ص ٤٤٤.

(٢) الشكعة : نفسه: ص ٣٦٩.

(٣) إحسان عباس: تاريخ الأدب (عصر سيادة قُرْطُبَة). دار الشروق، عمان - الأردن، ١٩٨٧م، ص ٣٠١.

(٤) الذخيرة: (تحقيق البدري) ج ١، ص ٣٦٤.

ويورد ابن عبد الملك نص عيسى الرَّازي حول الموضوع، ثم أضاف إليه تعليقاً مفصلاً لابن حَيَّان، نقله عن خط ابن بَشْكُوَال ممهداً لهذا التعليق بقوله:

" وقد ذكر التاريخي الحافظ ابن حَيَّان، فى كتاب " المقتبس " **نمقه بحسن عبارته** المعهود من كلام الرَّازي فى ذكره، نقلته من خط الراوية أبى القاسم ابن بَشْكُوَال وهو..... "[1].

خلاصة الأمر أن ابن حَيَّان مزج بين المنهجين الحولي والموضوعي في عرضه وترتيبه المادة العلمية في كتبه، واهتم بالاسناد لكنه اهتم بذكر الراوي الأخير فقط كما اهتم بذكر أسانيد الكتب التي اعتمد عليها كما اتضح ذلك في فصل المرجعية.

(١) عبد الواحد المراكشي: الذيل والتكملة، تحقيق: محمد بن شريفة، ج١، ص ١٥٨ .